

التوحيد

أهميته ومعناه

للشيخ

عبد الرحمن بن عبد الله بن مقبل العُصيمي

غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

(١٤١٤ - ١٤٤٠ هـ)

اعتنى به

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله
الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، هو غاية خلق الله
للخلق، وبعثة الرسل، وإنزال الكتب، والدعوة إليه منهاج
الأنبياء من أولهم إلى آخره، وكذلك المصلحون الصادقون
السائرون على سنن المرسلين، والأئمة المهديين، وهذه ورقات
يسيرة ضمّت كلمات مختصرة في بيان «التوحيد أهميته ومعناه»
في محاضرة موجزة لأخي فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله
بن مقبل العصيمي (١٤١٤-١٤٤٠) رحمه الله تعالى، مهمة
المعنى، مختصرة المبني، قمت بالعناية بها، رجاء نشرها وأن
يبتفع بها الناس، ويعود نفعها على فضيلته إيماناً بقول النبي ﷺ:
«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» وفيه: «أو علمٍ

يُنتفع به» وهذه الورقات تضمّ أشرف العلوم، وأهم العلوم،
وأولى العلوم بالدعوة وإرشاد الناس إليه.

والشيخ عبدالرحمن رحمه الله تعالى من خاصة الإخوان
الفضلاء، وطلاب العلم النبلاء، من أهل الجد في التحصيل
والطلب، مع حسن السلوك والأدب، والعناية بالتوحيد
والسنة، أعرفه من خلال حضوره لمجالسي العلمية، وزياراته
الأخوية، لئن الجناب، دمث الأخلاق، لطيف الابتسامة، كثير
الصمت، فائق الأدب، وأعلم عنه قوة الغيرة على التوحيد
والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومما أعلمه عنه
العناية بكتب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وكتب أئمة
الدعوة السلفية، كما تراه في آخر كلماته الآتية في وصيته بكتب
شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

فأسأل الله تعالى أن يرفع درجته في عليين، وأن يجعل الآخرة
خيراً له من الأولى، وأن يجمعنا به مع النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، والقلب يجزن،
والعين تدمع، وإنا لفراق الشيخ لمحزونون، ولا نقول إلا ما
يُرْضي الربَّ سبحانه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى
آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله
وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الذاريات: ٥٥] وستذاكر في بعض الآيات وفي أهم
الموضوعات ولن أطيل عليكم - إن شاء الله -.

الله سبحانه وتعالى لم يخلقنا عبثاً: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ
عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾
[المؤمنون: ١١٥ - ١١٦] بل خلقنا سبحانه وتعالى لغاية
عظيمة، وحكمة جليلة ألا وهي عبادته وحده لا شريك له كما
قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
[الذاريات: ٥٦].

والله سبحانه وتعالى لم يتركنا سدى ﴿أَلَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ
يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا

رسولاً من أطاعه دَخَلَ الْجَنَّةَ ومن عصاه دَخَلَ النَّارَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

فاللهُ جل وعلا لم يخلقنا إلا من أجلِ التَّوْحِيدِ أن نعبده وحده لا شريك له ولا نصرف أيَّ نوعٍ من أنواعِ العبادة لغيره.

وهذه الغاية: هي التي من أجلها أرسل اللهُ الرِّسْلَ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهي التي من أجلها أنزل اللهُ الكتبَ قال سبحانه: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [هود: ١-٢].

وأول أمرٍ في ترتيب المصحف هو الأمر بعبادة الله واجتناب
الشرك في سورة البقرة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا
رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٠-٢١].

فيجب على كل مسلم أن يتعلم التوحيد ليطبقه ويعمل به،
وأن يعرف الشرك ليتجنبه ويحذره ويحذره منه، فهذا هو أساس
الدين وأصل الملة التي من أجلها خلقنا الله تعالى.

والتوحيد هو معنى «لا إله إلا الله» ف لا إله إلا الله معناها:
لا معبود حق إلا الله، كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
وَأَنَّ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
وكما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث
رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ

الكتاب فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادةُ ألا إله إلا الله - وفي رواية: إلى أن يُوحِدوا الله - فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في اليومِ واللييلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم...» الحديث.

الشاهد من هذا الحديث أنه قال: «أوَّل ما تدعوهم إليه شهادةُ ألا إله إلا الله» وفي الرواية الأخرى: «إلى أن يوحِدوا الله»، فمعنى لا إله إلا الله: توحيدُ الله بالعبادة، إفرادُ الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

معنى لا إله إلا الله: لا معبودَ حقٌّ إلا الله، هذا هو معنى لا إله إلا الله، فهي مكونة من ركنين:
الركن الأول: النفي «لا إله».
والركن الثاني: الإثبات «إلا الله».
النفي «لا إله» نافيا جميعَ ما يُعبد من دون الله.

و«إلا الله» إثباتُ العبادةِ لله وحده، فهذا هو معنى لا إله إلا الله.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ وهذا معنى «لا إله» ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ هذا معنى «إلا الله» ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وهي لا إله إلا الله^(١).

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة كما قال سبحانه عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا هو النفي، ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هذا هو الإثبات.

(١) أي العروة الوثقى، وهي كلمة التوحيد، وكلمة التقوى، والقول السديد.

وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لهداه، وأنصحكم أيها الأخوة ببعض الكتب الهامة التي توضّح معنى التوحيد ومعنى الشرك، وهي بعد كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ: كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "الأصول الثلاثة" و"القواعد الأربع" و"كشف الشبهات" و"كتاب التوحيد".

هذه من أهم ما يقتني المسلم ويقرأ فهي أساس وأصل في هذا الباب، وشروح العلماء عليها كثيرة ومن أيسرها كتاب الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله تعالى.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من العلماء العاملين الداعين إلى
الله الصابرين على الأذى في سبيل الله، وأن يحيينا على التوحيد
والسنة ويميتنا عليهما إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه وصلى الله
وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.